أضواء على آثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في الأدب العربي بنيجيريا

د. عثمان عبد السلام محمد الثقافي

و د. لطيف أونيريتي

إبراهيم

قسم اللغة العربية،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

ملخص:

إن النتاج الأدبي الذي تركه الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني باللغة العربية للمجتمع الإسلامي النيجيري في القرن الخامس عشر الميلادي كان- ولا يزال- منارة فعالة في نيجيريا بصفة خاصة، وفي غرب إفريقيا بصفة عامة. وتراثه ذلك لا يقتصر على مجال علمي واحد فحسب بل يغطي في منهجيته مجالات عديدة من المعرفة وفنونا مختلفة من الأدب. فهذه المقالة تعكس على القارئ هذا النتاج وتحليله في نقاط. و لتحقيق الغرض المنشود قسمنا البحث إلى خمسة أقسام، كان القسم الأول مقدمة، والقسم الثاني عبارة عن ترجمة حياة المغيلي، وناقش القسم الثالث آثاره في الشعر العربي بديار نيجيريا، وتناول القسم الرابع آثاره في النثر العربي فيها، وجاءت الخاتمة التي تضمن خلاصة البجث ونتائجه واقتراحاته في القسم الخامس. أكتشف البحث أن ما تناوله المغيلي في أعماله تشتمل على ما يلي: الفلسفة، الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية بتقديم الدستور الشرعي(الإسلامي) ونشره في نيجيريا وعموم غرب أفريقيا، وبث الأبيات الشعرية في ارشاد الملوك وتوجيها لأمة النيجيرية. واقترح البحث للدارسين

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

إعارة أعمال هذا العلامة التلمساني عنايتهم الفائقة ليستفيد منها هذا الجيل والأجيال القادمة.

Abstract

The Arabic literary outputs left by the eminent scholar, Muhammad bn Abdul-Karim Al-Magily Atilmisani, for Nigerian Islamic society in the fifteen century, remains an effective guiding light in Nigeria in particular and in West Africa in general. This heritage is not confined to the field of science alone, but transcends it to other fields of knowledge and literature. The focus of this paper is to present and analyze the works of this scholar. To achieve this objective, the study was divided into five sections; the first section is introduction, the second section presents the biography of Shaykh Maghily, the third section discusses his poetical works, while the fourth section analyzes his prose work and the last section is the conclusion. The study discouvered that the Maghily's heritage in Nigeria encompasses Philosophy, call for establishment of Islamic empire, which culminated into writing Islamic constitution and spreading it across Nigeria and other West African countries, composing poetry for the purpose of guiding the Emirs and enlightening the Muslim community . The paper in its recommendations, called on researchers to give adequate attention to the works of this erudite scholar for the benefit of this generation and incoming generations.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

مقدمة

يعتبر الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني عالما جليلا من أعلام المغرب العربي الوافدين إلى بلاد السودان بما فيها نيجيريا في القرن الخامس عشر الميلادي لنشر الثقافة العربية والشريعة الإسلامية. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على اسهامات المغيلي في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا ليكون ذلك نبراسا نستضيء به في معرفة الأدوار التى أدّاها علماء المغرب العربي في تثقيف أهل المنطقة بثقافة اسلامية عربية.

ولتحقيق الغرض قسمنا البحث إلى خمسة أقسام القسم الأول مقدمة، والقسم الثاني يعرض نبذة عن حياة الإمام المغيلي، وكان القسم الثالث يناقش أثر الإنتاجات الشعرية للمغيلي على أهل نيجيريا، والقسم الرابع عبارة عن أثر انتاجات المغيلى النثرية عليهم والقسم الخامس الأخير خاتمة.

نبذة يسيرة عن حياة الشيخ محمد المغيلي وأثره في التدريس

المغيلي هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني القادري. ولد فى تلمسان، جنوبي الجزائر وفيها تعلم حتى نبغ فى الفقه والأدب. وكان غيورا على الدين الإسلامي فأخذ فى إصلاح شؤونه في المنطقة. ولما حدثت الثورة الدينية بين اليهـود والمسلمين فى بلاده، وفيها قتل إبنه، التهبت غيرته على الدين فأصبح يقـاوم اليهود حتى شتت شملهم فى توات، ثم غاب عن وطنه حين حجّ بيت الله، وعقب ذلك بزيارة غرب أفريقيا، حيث قام بالتدريس، نزل بكنو سنة ١٤٩٢م، ثم زار كتشنة سنة ١٤٩٣م وزار تكدة فى بلاد آهير وعلمهم فيها ببعض علمه وكذلك زار سنغى حيث استشاره الحاج محمد أسيكيا الكبير على صحة إدارته وعلى المسائل التشريعية والتنفيذية والقضائية فى المملكة، فأجابه عن تلك المسائل السياسية على سبيل حقيقي يرضى به الإسلام. وسأله عن أمر سن علي فأجابه بأنه ملك كافر لما صدر منه من علامة الكفر .ثم أعطى أسيكيا دستورا يسوس به البلاد بعده. ومما قام به المغيلي نشر الطريقة القادرية وأشار بها إلى أهمية العلم والمعرفة والحقائق التى تظهر المسلم على الأسرار الإلهية وترشده

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

إلى الورع والتقوى وحسن التصوف فى العبادات. فهذه التعليمات تعين المسلمين منذ ذلك الوقت إلى الآن.[1]

ومن أهم ما علم التلاميذ تأكيداته على التمسك بحديث شهير من الأحاديث النبوية وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله عزّ وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها" (رواه أبو داوود). فهذا الحديث الشريف أكد عليه المغيلي فتأثر به عدة المجاهدين فى القرن التاسع عشر، منهم الشيخ عثمان ابن فودى فى بلاد الهوسا و (الشيخ أحمد لبُّو) فى ماسينا ببلاد مالي وغيرهما من أتباعهما وكذلك تأثر به الحاج عمر بن سعيد السنغالي بفوتا جالون.[2]

آثاره في الشعر العربي يديار نيجيريا

1– قصائد مدحية

للمغيلى قصائد شعرية جيدة مشهورة في غرب إفريقيا عامة وفي نيجيريا خاصة يتدارسه طلبة العلم ويتأثر بها الأدباء في انتجاتهم الأدبية ومن هذه القصائد قصيدته الميمية التى إرتجلها فى الروضة الشريفة فى المدح النبوى، ونصها كما يلى:

بشـــراك قلبى هذا سيـــد الأمم ** وهـــــذه حضرة المختـــار فى الحـرم
وهذه الروضـــــة الغراء ظاهرة ** وهــذه القبة الحضـــــراء كالعـــلم
يا سيدى يا رسول الله خذى بيدى ** يا مــن لقاصده أمن من النــقـم
يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى ** فالعبد ضيف وضيف الله لم يضـم
يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى ** فبحر جـــودك مـورود لكل ظـم
يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى ** أبيت بالأمن فى خـــير وفى نعـم
يا أشرف الأنبياء يا من شفـاعته ** عمت على الخلق من عرب ومن عجم
يا صفوة الله يا مـــولا مكارمه ** عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فقـــير إلى عفـــو ومرحمة ** وأنت أدرى بما فى القلب مـــن ألم
وقد أتيتك أرجو منك مكـرمة ** وأنت أهل الرضى والجـــود والكـرم
فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد ** أودى به الكسر مـــن ما ناله بهم

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

يا أحـمد يا أبـوبكر ويا عمر ** نزيلكم فى أمـــان غـــير منـهضم
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكم ** سعيا على الرأس لا سعيا على القدم
أتى لأم القرى يرجو القرى كرما ** من سادة العلم بحر الفضل والكرم
فإن قبلتـــــهم فإني مفلح بكم ** فى زورتي واغتـــيابي وافر القسم
يا من أجل ملـوك الأرض قاطبة ** فى باب فضلكم من أصغر الخـدم
فهل عسى نظرة منكم بزائـركم ** يغنى بها عـــن جميع الخلق كلـهم
يا رب يا رب يا مولاى عبدك فى ** باب الرجا يـــرتجى أمنا من النقم
فجد عليه بما يرجـــوه من كرم ** فـــقد توسل فى الدنيا بحـــــقهم
ثم الصـــلاة وتسليم الإله عـلى ** هـــذا النبى الرفيع القـدر والشيم
محمد المصطفى والآل ثم عـــلى ** أصحـــابه ما سرى ركر بـــربعهم[3]

تحليل ونقد

استهلّ الشاعر قصيدته بتبشير نفسه بالفوز وتحقيق أحلامه وتحصيل أمانيه التي طالما كان يتطلّع إليها، ألا وهو تمكّنه من انتهاز الفرصة للمثول أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبيل جدرانه. ثم وصف ما حواه حرمه صلى الله عليه وسلم من روضته الغراء والقبة الخضراء العالية كالجبل، ثم زجّه كلامه إليه طالبا منه أن يساعده بجوده وكرمه وأن يهتمّ به وينقذه من خوفه بالأمن وأخبره أنه ضيف الله ، وضيف الله لايظلمه الظالمون. ثم صرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه عبد ذليل أتى إليه بأوزاره من الذنوب راجيا أن يشفع له عند الله ليعفو عنه ويكفر له سيئاته جميعا. ثم ختم قصيدته بالصلاة والتسليم على النبي وعلى آله وصحابته أجمعين.

القصيدة وسماته

من حيث المضمون تظهر ملامح آتية:

- يبرز في هذه القصيدة ما اتّسم به صاحبها من أوصاف الصوفيين وسلوك السالكين منها إظهار الهوى العذري للحضرة النبوية

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

- وبلوغ الغاية في التوسّل بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لطلب العفو والرحمة ومن حيث الأسلوب تبرز خصائص تالية :

أ- **الأدبية:** ومنشأ جمال شعره ما فيه من خيال رائع , وتصوير دقيق, وتلمّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء, وإلباس المعنوي ثوب المحسوس, وإظهار المحسوس فى صورة المعنوي.

ب - **الخطابية:** هنا تبرز قوة المعانى والألفاظ , وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصيب لأن الشاعر جعل نفسه كالمتكلّم بتحدث إلى رسول الله لإثارة عزائمه واستنهاض همه كأنه يراه حيا بإنساني عينيه, ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير فى تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس ، وسطوع حجته، ونبرات صوته، وحسن إلقائه، ومحكم إشارته.

ج . التلوّن والتفنّن في الأساليب: وذلك أن الشاعر قد تلوّن في أساليبه لأن عمله فنيّ وهو يخاطب العاطفة أكثر مما يخاطب العقل فإذا التزم الأسلوب الخبريّ فقط في عمله لا يستطيع أن يثير عواطف غيره. وليتمكن من أغراضه جاء في كلامه تارة بخبريّ وأخرى بالتعجب ثم انتقل من ذلك إلى الاستفهام الإنكاري أو التقريري أو غير ذلك فإن كلامه يؤثر تأثيرا كبيرا في نفس السامع. وكذلك تلوّن في الحقيقة والمجاز أو الكناية بدون تكلف.

نجد أثر هذه القصيدة جليا في شعر الشيخ ناصر الكبرى الكنوي حيث استغاث برسول الله كما استغاث المغيلي به، وذلك في قصيدة يقول فيها:

يا رسول الله خذ بيدي ** وتــداركــني وأنت أبــي
أنت يا مختار مستندي ** وإليــك اليـــوم منقلبي(4)

كما نلمس هذا الأثر في قصيدة عبد الواجد جمعة أربيي المعنونة بـ "يا مختار" يقول فيها:

يا رســـول الله كـن حجبي ** إنمـــا أرجــوك عن كثب
أين تمضي اليـــوم باخـرتي ** فيـك يامختـــار منتســـبي
أنـــا في الإيمـــان مقتصـــر ** عمـــل الخيـــرات أبطـأبي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

قائدى العملاق يا سيدي ** فـــإليـــك الآن مقتـــربي[5]

2-تعليم وتشجيع علم المنطق

أ-تعليم علم المنطق:

للمغيلى أرجوزة في علم المنطق أسماه "منح الوهاب فى رد الفكر إلى الصواب" المشهور بـ "رجز المغيلي فى المنطق " استفاد منها طلبة العلم بكثير في هذه المنطقة لتعلم العلم فاستطاعوا أن يؤيدوا كلامهم بالبراهين الساطعة وأن يوردوا أفكارهم بطريقة سليمة. ففي هذه الأرجوزة يقول:

الحمد لله الذي هـــــدانا ** لدينه القـــــويم واجـــتبـانا
بخير من بالوحي والكتاب ** وفي ومن دعا إلى الصـــواب
محمد صـــلى عليـــه ربنا ** ما هب أو كف الصبا منشئنا
ثم على أصـــحابه وآلـــه ** ومن أتى مقتـــفيا بحـــــاله
وبعد لما كان علم المنـطق ** رعية الـــذهن من الغي يـقي
نظمت نظما شاملاً قواعدا ** راج مـــن الله الكريم مـددا
وحفظ حافظ له وناظـــرا ** قد أخذ الإنصاف ثـوبًا ساترا

أنواع العلم الحادث

العلم إن حكما فتصديق وما ** عدا تصور فـــكان لازمـــا
لكم مـا حصـــوله بالنـــظر ** ليس ضروريا ولـــكم نظرى

الدلالة اللفظية والوضعية

دلالة اللفـــظ لوضـــعه له ** مطابـــقة ثـــم لما شمـــله
تضـــمن ثـــم لما لـــزمه ** هـــو التزام إن حجى ألـــزمه

مبادئ التصورات

واللفظ إن بجـــزئه قد قصد ** دلالـــة قـــول وإلا مفـــردا
فانسب لكل لا لجـزء ما عـنا ** إن قبل الشرك وإن لمن يمسكنا
ثم لذات إن يـــكن قد انـــدرج** في الذات أو في العرض حيث خرج

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

فالأول المخـــتص منه فضـــلها ** وما عن المختص منه جنســـها
والنوع ما شمـــل ذين دائـــــمًا ** والثـــانى جاء ذاهـــبًا ولازمـًا
لكن ما اختـــصت به قد منـــعا ** وشامل الأفراد منـــها جمـــعا

مقاصد التصورات

عرف بحـــد وبرسم وهـــما ** للنقص والتمام كل قسما
فذو التمـــام ما بجنس قد دنا ** والحد منها ما يفصل بيننا
وشرط كل أن يكون جامعا ** وظاهرًا للسامعين مـــانعا(6)

ب- تشجيع تعلم علم المنطق

إضافة إلى نظم الأرجوزة في علم المنطق، شجع المغيلى تعلم العلم وأجازه وأدخل معركة المناظرة مع الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي في تحقيق ذلك، لما اطلع على كتاب السيوطى فى" النهى عن علم المنطق " أخذته الحمية الشديدة لعلم المنطق لأنه لم يكن من كبار المناطقة بل له تأليف مختصر فيه، فمن ثم اعترض عليه في تحريم هذا العلم وأخذ يبدئ ويعيد فى تحليله. وبذلك نجمت هذه النقيضه الشعرية فى حكم الاشتغال بالمنطق كان السيوطي يحرم المنطق والمغيلي يؤيده، وهما حينذاك في نيجيريا. فأدناه ما جرى بينهما:

يقول المغيلي:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ** وكل حـــديث حكمه حكم أصـــله
أيمكن أن المرء فى العلم حجة ** وينهى عن الفرقـــان فى بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبـــارة ** عن الحق أو تحقيـــقه حين جهـله
معانية فى كل الكلام فهل ترى ** دليـــلاً صحيحًا لا يرد لشـــكله
أرنى هـــداك الله منه قضـــية ** على غير هـــذا تنفـها عن محـــله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمه ** رجـــال وإن أثبت صـــحة نقـــله
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم ** دليلاً على شخص بمذهب مثله

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ** به لا بهم إذ هم هداة لأجـــله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ** وكم عالم بالشرع باح بفضـــله(7)

استهل الامام المغيلي قصيدته بأنه بلغ سماعه خبر من يحرم المنطق وكل خبر يحكم عليه حكم أصله فإن كان أصله صحيحا فهو صحيح وإلا فلا. أيمكن للعالم الذى اتخذه الناس حجة أن ينهى عن بعض ما أمر به القرآن الكريم اذ المنطق المقصود إنما هو الحق أو استنباط الحق إذا كان مجهولا. والقرآن من أوامره الأمر بالحق أو البحث عنه. فكيف ينهى عن هذا وهو حجه في العلم؟. فالمنطق معناه ملموس فى كل الكلام المتحلى بالدليل، فهل هناك دليل صحيح يحتج به عند المناظرة بدون أن يمتّ بصلة إلى الشكل المنطقى أم هناك قضية من قضاياه الحقيقية على غير صحة فينفي عن محله؟ فإذا ثبت أن كل قضية من قضاياه صحيحة ولايرى منها غير ذلك لزم ترك ما قال فى المنطق الجاهلون به ولو وجد أقوالهم فى كتبهم أوسمعها من أفواههم بل يجب على العالم أخذ الحق أينما وجده ولو من كافر.

فأجابه السيوطى بقوله:

عجبت لنظم ما سمعت بمثـــله ** أتـاني عـــن حـــبر أقر بنبـــله
تعجب مني حين ألفت مبدعًا **كتـابًا جمـــوعًا فيه جم بنقـــله
أقرر فيه النهي عن علم منطق ** ومـا قاله من قال من ذم شـكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقـل ** فذا وصف قـرآن كـريم لفضـــله

استفتح الإمام السيوطي قصيدته بأنه أخذه العجب من نظم عجيب أتاه من عالم نبيل معترف بفضله، إلا أنه عالم من علماء اليهود وحبر من أحبارهم، أخذ هذا الحبر يتعجب من كتابه" النهى عن علم المنطق "الكتاب الذى أثبت فيه تحريم المنطق وفقا لما قاله كبار العلماء من ذم شكله بأنه تارة منتج وتارة عقيم وأنه يحط منه المساواة حينا وخصوص المادة حينا آخر. ثم يتمادى في أن هذا النظم سمه صاحبه "بالفرقان" فتأسف على ذلك فكيف سماه بهذا الاسم وهو وصف خاص بالقرآن الكريم فلا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

يوصف به أى علم أو فن مهما كانت حقيقته : هذا تأويل السيوطى لقول المغيلي: " وينهى عن الفرقان فى بعض قوله". مع أن الواقع أن المغيلي يتكلم عن القرآن المجيد بأنه يأمر بالحق وبالبحث منه اذا كان مجهولا، وانما أول السيوطي هذا القول هذا التأويل للنيل من خصمه.

ثم يستمرّ السيوطى فى أن هذا الحبر يجادل بغير روايته من القرآن أوالحديث ويأمر بقوله:"دع عنك ما أبدى كفور وبعده –خذ الحق حتى من كفور" على طريقة المخاتلة والخداع، والحال أن المتمسكين بالسنة لايقبلون أمرا من الأمور إلا بالرواية، وأن الأحاديث الشريفة فى هذا المدد كلها تنهى عن طلب علم اليهود والنصارى، وهذا المنطق علم من علوم اليهود والنصارى فمن طلبه يحمل عليه لأنه يعذب ويعاقب عقابا شديدا. نعم ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن طلب علم اليهود والنصارى بأحاديثه فقط، بل قام فعلا يمنع عمر عن تناول علم اليهود فكيف يجوز مالم يجزه النبي صلى الله عليه وسلم . هذا معنى قوله :

وقــد قال محتـجا بغـــير روايــة ** مقالا عجيبا نائـــيا عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور ويعد ذا ** خذالحق حتى من كفور بخــتله
وقدجاءت الآنار فى ذم من حوى ** علـوم يهود أونصــارى لأجله
يحوز به علما لـــديه وإنـــه ** يعـــذّب تعـــذيبا يليق بفـــعله
وقد منع المختار فاروق صحبه ** وقد خط لوحا بعـــد توراة أهله

ثم زجر المغيلي السيوطي أن لايقيم الدليل على أصحاب المنطق وألا يثبت عليهم الحجة بمذهب مثلهم وعقيدة غيرهم، فإن غير المناطقة من العلماء نعرفهم بالحق لا بالعكس فاطلب البيان بالحق لا بهم فإن كان قولهم المرويّ عنهم صحيحا، فعدد هؤلاء الذين حرّموا علم المنطق قليل جدا على حين أن الذين حللوه وصرحوا بفضله كثيرون بالمقارنة . وهذا خلاصة قوله :

خذ الحق حتى من كفور ولاتقـــم ** دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ** به لا بهم إذ هم هـــــداة لأجله

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

لئن صح عنهم ماذكرت فكم هم ** وكم عالم بالشرع باح بفضـــــله

فردّ عليه السيوطي بأن هناك أحاديث كثيرة كلها تنهى عن اتّباع الكافر , فان كان هذا الأمر حقا بأهله فالحجة على هؤلاء المناطقة والمتمنطقين قائمة بالحديث لا بمذهب أمثالهم، ثم ختم كلامه بالتسليم عليه والاعتراف، فهذا خلاصة قوله :

وكم جاء من نهي اتباع لكـافر ** وإن كان ذاك الأمر حقا بأهــله

أقمت دليلا بالحديث ولم أقم ** دليلا على شخص بمذهب مثله

سلام على هذا الإمام فكم له ** لـــدي ثناء واعـــــتراف بفضله

تقويم القصيدتين فى محاكم الفقهاء والأدباء

قال الأستاذ محمود عبد الوهاب فاير المدرس بالأزهر :

كتب المناطقة تتنوّع إلى نوعين : أحدهما غير مخلوط بضلالات الفلاسفة كهذا المتن (كتابه المنطق الواضخ) وكمختصر السنوسي وإيساغوجي وهذا لا خلاف فى جواز الاشتغال به، بل قالوا هو فرض كفاية على كل إقليم لأنه يتوقف عليه رد الشكوك فى علم الكلام، وهو فرض كفاية وما يتوقف عليه فرض الكفاية فهو فرض كفاية .[9]

وبناء على هذا قال الشيخ أحمد عبد الفتاح بن يوسف الملوي الأزهري :

وممن اشتهر بالترجمة والتاليف فى المنطق عبد الله بن المقفع الذى ترجم كتب أرسط كما ترجم المدخل المعروف بإساغوجي، ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندي، ومحمد بن زكريا الرازي، وأبو نصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا، وحجة الإسلام الغزالي، وغيرهم ممن اشتغل بدراسة المنطق والتأليف فيه .[10]

وقال الغزالى :

" من لامعرفة له بعلم المنطق لايوثق بعمله ."[11]

وقد رأى ابن رشد "أن من منع عن النظر فى الفلسفة والمنطق كمن منع العطشان عن الماء فربما أدى به العطش الى الموت ." [12]

وأما النوع الثاني فقال فيه الأستاذ محمود عبد الوهاب فاير :

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

والثاني ماهو مخلوط بها وفيه خلاف على ثلاثة أقوال فقال تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح المتوفى سنة 79 هـ والإمام محيي الدين النووي إنه حرام ووافقهما على ذلك الحافظ السيوطي درءا للمفسدة وخشية أن تتسرب إلى متعلمه العقائد الفاسدة فيزيغ كما زاغوا .[13]

فمن هنا نرى أن تناول علم المنطق جائز وفقا لما عليه المغيلي وأمثاله من كبار العلماء وخلافا للإمام السيوطي، وخصوصا إذا تعلمه المتعلم للدفاع عن دينه .

إذا رجعنا الى القصيدتين وقايسناهما بالمقياس الأدبى نرى أن الإمام المغيلى قد بنى قصيدته بناء بلاغيا منطقيا فى آن واحد. ألا رأيت قوله :

هل المنطق المعنيّ إلا عبارة ** عن الحق أوتحقيقه حين جهله

وقوله " فهل ترى دليلا صحيحا لايردّ لشكله " فالاستفهام الأول عبارة عن النفي بينما يفيد الاستفهام الثاني الإنكار , إلا أنه اختار هذا الأسلوب للتأثير البلاغي . ثم انظر اليه كيف جعل الأمر فعل التعجيز فى قوله :

أربي هداك الله منه قضية ** على غير هذا تنفه عن محلّه

ثم انظر اليه كيف جعل فعل الالتماس بمنزلة فعل الأمر الحقيقى فى قوله :

ودع عنك ما أبدى كفور وذمّه **رجال وإن أثبت صحّة نقله

ثم انظر إلى استعماله كلمة "كم " للتقليل والتكثير مرتين فى بيت واحد بقوله:

لئن صح عنهم ماذكرت فكم هم **وكم عالم بالشرع باح بفضله

3- أثر المغيلي في توجيه السلاطين والأمراء بشعر الحكمة والنصيحة

هناك وثائق نثرية كتبها المغيلي إلى أولي الأمر من السلاطين والأمراء وأكابر الناس ورؤسائهم ليوصّهم بها ، ومن هذه الوثائق ما خللها بنصيحة شعرية تضمنت من الحكمة التي يجب على أئمّة الأمة وأشرافهم أن يراعوها في قيادة الشؤون العامة، استفاد منها هؤلاء السلاطين والأمراء في تدبير نظام قومهم وفي سياسة بلدانهم، ومن أمثلة ذلك قصيدة يقول فيها:

ولا تقـــهـقه أبـــدًا فـــــإنمـــا ** يقهقه الأعمى ويـــزداد عـــمى

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

وكن على الصمت حريصًا دائمًا ** فقلـــما يسلم مـــــن تكلما
وإن يكن لا بد فاختر محـــكمًا ** واخفض من الصوت لئلا تندما

ومنها فوله:

إذا أهمل السلـــطان شأت مقـــاله ** فقد بان منه الضعف فى كل حاله
وأمسى كليل الأمر والنهي فى الورى ** ورامي بثـــوبي عـــزه وجمـــــاله

وقال أيصا:

إذا قرب السلطان أخيار قومه ** وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قومه ** وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وكل امرىء ينبيك عنه قـــرينه ** وذلك أمر فى البـرية واضـــح

ومنها قوله:

ألا قبح الله الجبان من الورى ** وأكساه ثوب الخزي فى طبق الثـــــــــرى
أبالجبن كان الملك يملك قلبنا ** وما الملك إلا بالشجاعة يشـــتـــــــــرى
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ** وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرًا

قال أيصا:

مجال عقاب الطير فى الجو والفلا ** وأنشط ديك فى البيوت يجول
وما الملك إلا للعقاب بعزمه ** وللديك صوت فى الدجاج يصول

ومنها:

إذا أهمل الراعى المواشى فى الخلا ** وألوى إليها فى المراح وأهملا
فما هو إلا واحد من أســودها ** وعما قليل تنجلي عنه أولا

ثم قال

إذا كنت فى أمر فكن فيه ناصحًا ** فإن تستنب فاختر خيارًا لأهله
ومن يأت بالكلب العقور لبابه ** فعقر جميع الناس من سوء فعله[14]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

دراسة وتحليل:

وهذه الحكم والوصايا كما أوردها ستّ كما يلي :

1- هي أن على السلطان أو الأمير ألا يقهقه بين الناس قهقهة الحمقى والجهلاء كيلا يحتقره الناس احتقارهم الأحمق من الناس وكذلك عليه أن يلتزم حسن الصمت كيلا يخرج من فمه الفواحش من القول وإذا وقعت واقعة لامندوحة له فيها من الكلام فعليه أن يختار المحكم من المقال فليلقه على الناس بالأسلوب الذي يناسب المقام ، وبذلك ينال من رعيته احتراما يليق بمقامه وقدره.

2- أن على أولي الأمر ألا يغفلوا عن الأوامر والنواهي التي أصدروها، بل عليهم أت يسعوا سعيا جدّيا بتنفيذها، وإلا يعدّهم الناس من الأمراء الضعاف الذين يقولون ما لا يفعلون.

3- أن على ولاة الأمر أن يختاروا في أقاليمهم ووزاراتهم ودوائر إدارتهم أخيار قومهم لقيادة الشئون العامة وإقامة الحدود ورعاية الأمن . فمن فعل ذلك منهم فهو من الولاة الصالحين، ومن أسند الأمر إلى أشرار قومه فهو بلا شك من الأمراء الطالحين.

4- أن على السلطان أو الأمير أن يكون شجاعا يعدّ لعدو الله وعدوّه مااستطاع من قوّة ومن رباط الخيل ليكون لأمره ونهيه تأثير في أوساط بلاده ولئلا يطمع الطامعون في حكومته من داخل بلاده أو من خارجها.وليقرر هذا الأمر في نفس السامع بدأ الشاعر هذه النصيحة بذمّ الجبان ومدح الشجاع وأكّد أن الإمارة لا تستقرّ إلا للشجاع وشبه حال الملك في جولته وصولته حيث يغير وينجد بحال عقاب من الطير يتمتع بمعيشته في طيرانه في آفاق السماء وهبوطه في أرجاء الفلاة والبيداء، وبذلك يعيش في الأرض والسماء عيشة الملك على حين أنه شبه الجبان بالديك الذي لايتجاوز ملكه ساحة المنزل لجولانه دائما حول المنزل ولا يتجاوزه.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

5- أن على كل وال من ولاة أمر الأمة أن يهتمّ بأمر قومه والا يهمل رعيته كيلا يفترسهم منه غيره ممن يهمّه أمرهم لأنه بمنزلة راع، إذا أهمل مواشيه بدون رعاية وعناية هجم عليها الأسود لافتراسها ويستأثر بها على حسابه .

6- وأخيرا فإن على كل من تولى أمر الأمة أن يتولاه بإحسان وإتقان بنفسه وإذا كان لابدّ له من أن يستخلف غيره في مكانه إذا غاب أو أن يستنيب أحدا في أحد أقاليمه أو في دائرة من دوائر حكومته أو أن يرسل أحدا لينوب عنه في أي مكان أو مناسبة فعليه أن يختار من قومه خيارهم ليمثّله هناك أحسن تمثيل .فمن عيّن شرّ الناس أن ينوب عنه في كل ما ذكرنا يفسد عليه الأمر فيندم في عاقبة أمره حيث لاتنفع الندامة، والعياذ بالله من ذلك.

آثاره في النثر العربي بديار نيجيريا

وضع وصية ودستورا للملوك

عند جولة المغيلي في غرب أفريقيا عموما، وفي نيجيريا خصوصا، كتب وصية للملوك والأمراء كما وضع لهم كتابا اتخذوها دستورا، ومن أهم كتبه التى صنف كتابه (الوثيقة السلطانية) التى ألفها للملك محمد رمفا بكنو، ثم كتب مثلها لمحمد أسيكيا سلطان صنغاي كدستور لإدارة بلاده، وله غير ذلك. نذكر منها نموذجين فقط لضيق نطاق هذا البحث.

أ- الأحكام السلطانية التي كتبها الشيخ عبد الكريم المغيلي لأمير كنو(محمد رمفا)

أما بعد: وفقك الله للتقوى، وعصمك من نزعان الهوى؟ فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى، بقطع أوداج التقوى. فعليك بتقوى الله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

الباب الأول: يجب على الأمير حسن النية فى الإمارة، ويجب على كل ذي عقل وديانة أن يبتعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها، فيتوكل على الله فيها ويستعين به في أمره كله، وينوي أن ينال بها رضى الله فى إصلاح أمور عباد الله الدينية والدنيوية، ويعلم أن الله ما ولاّه عليهم ليكون سيدهم بل ليصلح لهم دينهم ودنياهم، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الثانى: فيما يجب على الأمير من تحسين الهيئة فى مجلسه بإظهار حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله. وفى لباسه أن يلبس المباح للرجال غير متشبه بالنساء، ولا مفسد لبيت المال، ولا يتزين بذهب، ولا فضة، ولا حرير.

وفى جلوسه يجب أن يجلس بالوقار والسكينة من غير عبث ولا قهقهة، مع غض البصر، والإقبال على الرعية بالحق، وأقبح القبائح كذب السلطان وإخلاف الوعد، والغفلة فى أمره ونهيه. وفى دائرته بأن يقرب منه الأخيار والعلماء والأتقياء والصلحاء والزهاد، ويبعد عنه الأشرار والجهلة والفجار. وفى قسم بيت المال بأن يؤثر رعيته على نفسه وأهله، فلا يكن عبد ثوب، ولا حصان، ولا بساط، ولا مكان، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الثالث: فيما يجب عليه من ترتيب مملكته على ما يتمكن من صلاحها، لأنه راع على جميعهم، وهو مسئول عنهم، ولا يتمكن على ذلك بنفسه، بل بالنواب. فمنهم وزراء: أي الأعوان فى سياسة جميع الرعية لا يخشون إلا الله.

وأئمة: يوالون على البلاد البعيدة عنه يجمعون له الناس حين يحتاج إليهم.

وقضاة: أي الذين هم تقاة يفصلون الخصومات.

ومحتسبون: أي أهل الحسبة الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، ويكشفون أمور القرية وغيرها من المجامع، ويصلحون ما فسد.

وشرط: أي أعوانه فى تنفيذ الأحكام.

وخدام الخضرة: يتصرفون فى حوائجه لئلا يحتاج إلى غيرهم.

وعقلاء: يشيرون له فى الأمور قبل عامة الناس.

وأمناء: يقبضون الأموال ويصرفونها إلى الرعية فى مصارفها.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

وكتّاب: حساب يحفظون جميع الأشياء.

ورسل: يكونون سفراء فى بلاد الإسلام.

وجساس: يكونون عيونًا في بلاد الأعداء

وحفظة: يحفظون ليلاً.

وعلماء: ثقاة في العلم والتقوى يرشدونه في جميع أموره.

وشفعاء: يشفعون من اقتضى الحال بشفاعته من ذوي المروءات إذا عثروا فى التعزيرات لا في الحد والحقوق.

ومنظمون: أي الصلحاء لوجه الله تعالى.

وعمال: يحبون حق الله كالزكاة وبيت المال.

وحصن: حرز حصين مكفى بالخزائن من طعامه وشرابه وشوقه.

وخيل: أفراس حديدة تعد من بيت المال فى كل قرية يحبسها للجهاد.

وظهور: زاد يعد من بيت المال لحمل الفقراء إلى الجهاد ونحوه.

ورجال: شجعان حاضرة فى كل أوان عند الأمير لأمور تعرض.

وعدد: من آلات الحرب ونحوها متينة قوية.

وأطباء: أمناء يطببون الناس لئلا يحتاجون إلى الخروج إلى غير بلاده.

وأمراء الجيوش: الذين ينوبون عنه في سد الثغور وترتيب الجيوش وحفظ بيضة الإسلام، واستعداد البلغاء الذين برأيهم تنكشف الكروب، فإن الحروب خدعة، ليس بكثرة ولا سرعة، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الرابع: فى التزام الحذر فى الحضر والسفر، بإظهار القوة والجلد عند تغير الأحوال بالخوف، وإظهار الزهد فى الصاحبة والولد لئلا يمنعه ذلك عن العدل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾. وإظهار الرغبة فى الأبطال والعدد وحب الخروج إلى الجهاد، وبغض المقام فى الديار بلا نهوض إلى الأعداء.

ومقام السلطان فى داره عن رعيته هو رأس كل فتنة وضرر، فالملك بالسيف لا بالتسويف، أي لا يحصل بقول: سوف نخرج إليهم، سوف أفعل، وهل يدفع الخوف إلا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

بالتخويف؟. إن كل من خوّفك لا تسلم منه إلا بتخويفك إياه لا بالهروب منه، وطلب الصلح معه: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾. ويجب عليه الحذر فى طعامه وشرابه وفراشه: أن لا يوليها إلا أقرب أحيائه إليه، وفى مجلسه ألا يفارق السلاح وأهل الأمانة والصلاح من الشجعان الرماة والفرسان، وليس وقت الخوف كوقت الأمان. وفى سره أن يكتمه حتى يتمكن، وفى النمامين بعدم قبول قولهم ولو كانوا أكثر من سبعين. وفى المتهمين ألا يغتر بظواهر رسل الهداية آمنهم عيونا، وأصدقهم كيسًا: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾.

وفى الحصون القريبة من الأعداء أن يزيل كل حصن لم يتمكن من أن يسكن أمناء فيه، لئلا يستند أعداؤه إليه، وليخف من الحبل لئلا تلسمه الحياة، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الخامس: فما يجب كشفه من الأمور التى يجهل فى رعيته بالعدول والأمناء، كأمور الحيوسين والأوصياء على الايتام، وحجر المهمل من يتيم وسفيه يأمر برفع أمره إليه، وكأمور الغيات وإرث الأموات وأمور بيت المال وأرزاق العمال على الاستبصار والورع لا على الأضرار والطمع، وكأعمال العمال وما يزيد لهم فيها من الأموال، فمن ظهر منه تقصير زجره أو ظلم عزله، أو شكوى منه أبدله إن وجل بدله، وإلا انتقد من الأمناء، ومن زاد له مال على ما يعطى أخذه وجعل في مصالح المسلمين، وإن شك فى قاسمه، وليكن عليهم كراع الماشية بين الأسود الضارية، من عمال السوء جميع الفساد.

إذا كنت فى أمر فقم فيه ناصحًا ** وإن تستنب فاختر خيارًا لأهله

ومن يأت بالكلب العقور ببابه ** فعقر جميع الناس من سوء فعله

عمل عاملك عملك، إن أحسن، فالثواب لكما، وإن أساء فالعقاب عليكما وكأمور المتهمين بالفساد فإن قريب التهمة بوجود علامتها، فلا بد من كشفه، فإن ثبت عليه وإلا توعده وزجره بحسب قربه وبعده.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

وكأمور الأعداء فلا بدّ من كشفها بالجساس الأمناء، فإن الجهل عمى وبصير واحد يغلب ألف عمى، وأعظم البلية الغفلة عن الرعية، وكذم الذامين ومدح المادحين فلا بدّ من كشفه من الأمناء.

الباب السادس: فما يجب عليه من العدل والإحسان، فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، سواء كان الحق عليه أو على غيره من رعيته، فمن لا يأخذ الرعية حقوقهم من بعضهم ليس بعدل.

وأما الإحسان فهو أن يتفضل من نفسه، أي يزيد لكل من أراد أن يحسن عليه زيادة على حقه مما كان من نصيبه، لا ما كان من نصيب غيره، فمن كان يحسن إلى الناس بإعطائهم أكثر ما يستحقون مما لجميع الناس شركة فيه بغير إذنهم فليس بمحسن بل ظالم، لأن ما يحسن به ليس ما اختص به شرعًا فافهم هذا الأمر ولا تهمله، ومن العدل أن يسوي بين الخصمين فى جميع أمورهما، وأن لا يقبل من الشهود إلا من كان عدلاً رضي فيما لا تهمة له فيه، فإن تعذرت العدالة فعليه أن يراعي أمثلهم فى الصدق مع كشف واستكثار، لا يكتفى باثنين مع السياسة والاستبصار، ثم لا بدّ أن يطلع المطلوب على أسباب الطالب، ويعذر إليه إذا أراد أن يحكم على المطلوب فلا بدّ أن يطلعه على الأسباب التى سببت الحكم عليه، ثم يعذر إليه بقوله: أبقيت لك حجة، فإن قال نعم تلوم له، وإن قال: لا، حكم عليه، ثم بعد مشاورة العلماء ولا يجوز له الحكم فى شيء إلا بمشهور مذهب إمامه، فإن الحكم بغير المعتمد جور وضلال يجب نقضه على كل حال، وتختص دعاوي الجنابات بأنواع السياسات.

فالجنايات كالسرقة وقتل النفس، فمن ادعى عليه بالسرقة من غير بيّنة فلا يخلو من ثلاثة: قسم بعيد عما نسب إليه فلا يلتفت لدعوي المدعي بل يؤدب لأجل المدعى عليه إن كان من أهل الصلاح.

وقسم قريب من الدعوى، فلا بدّ من حبسه وتهديده وجلده بحسب الجريمة وبعده من التقوى، وربما يغرم بمجرد الدعوى واليمين حيث علم بمثل الدعوى واشتهر وتكرر منه،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

لأن شهرته بما نسب إليه صارت شاهدًا للمدعي عرقبًا، ومن تكرر منه الإذاية واشتهر حبس حتى تظهر توبته أو بقبر.

وقسم مجهول الحال فلا بدّ من اعتقاله، أي حبسه، وكشف الحاكم عن حالة ثم يحكم له بحكمه، وإلا أرسله بعد سياسة وتهديد، وكشف ووعيد، يحسب ما يقتضيه النظر من التشديد. كل ذلك بالتقوى، لا بالهوى، وليس كل الناس سواء.

ومن ادعى عليه بكنفس فلا بدّ فيه أولاً عن حبس بالحديد وكشف وتهديد، ثم إن ظهر الأمر عمل عليه وإلا نظر فى قربه وبعده فما نسب إليه، فإن قرب طوّل فى اعتقاله وإن بعد عجّل بإرساله. ولا بدّ للأمير الأعظم أن يجلس فى كل يوم للناس بحيث يصل إليه جميع الناس، ولا يكفيه القضاة والعمل، لأن شكوى للرعية قد تكون منهم ويجب عليه أن يزجرهم وإلا فهو كسلم الدار لأربابها وكماسك قرون البقر لحلابها. وقد عزل الخلفاء العمال الصالحين بسبب الشكوى وهو أقرب للتقوى. ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب السابع، فما يجب عليه من جبي الأموال من وجوه الحلال، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۚ ﴾. وملاك السلطنة هو الكف عن أموال الناس بأن لا يطلب منهم شيئًا لم يكلفهم الله به، والطمع فى أموالهم خراب المملكة، فمن الأموال التي حلّل الله للأمراء قبضها وصرفها.

زكاة العين والحرث والماشية والفطر والمعدن وخمس الغنيمة والركاز، وأموال الجزية والصلح، وما يؤخذ من تجار أهلها وتركة لا وارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب لا حرب. فإذا كان الأمير عادلاً في صرف مال الله وجب على من بيده شيء من زكاة وغيرها، أن يدفعه له ليصرفه إن لم يكن عادلاً فلا يعطيه فتأمله.

ومن الأموال التى حرم على الأمراء وغيرهم كل ظلم. ومن الظلم ما يأخذه الأمير على تولية القضاء أو غيره وهو حرام بإجماع المسلمين وذريعة لإفساد الدين وفتح لأبواب الرشى وقهر المساكين، لأن الولاة يرون حين أخذ منهم المال على الولاية لا بدّ أن يأخذوا المال من الرعية فيقهرون عصمة الله من ذلك.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

ومن الظلم الرشى لسلطان وقاض وعامل، وهو أن يأخذ من أحد الخصمين أو من كليهما شيئًا قبل الحكم أو بعده. وكذا قبول الهدية من الرعية فإنه باب كل بلية.

إذا دخلت الهدية على ذى سلطان خرج عنه العدل والأمان وصار صاحب بالخيانة.

فمن الظلم العقوبة بالمال كأخذ مال السارق والزاني وهي حرام على كل حال، إلا إذا كانت جناية الجاني متعلقة بذلك كلبن خلط بالماء، فالصدقة به حلال. ومن الظلم المكس وهو حرام بإجماع، ومن الظلم أخذ العشر أو غيره كالنصف والثلث من أرباب الحقوق والتركات، وهو حرام بإجماع المسلمين ونصوص الآيات.

الباب الثامن: فى مصارف أموال الله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾. فيجب على الأمير صرف أموال الله فى مصارفها بالكرم، لا بالبخل، فالتذير، فالكرم هو بذل ما يحتاج له عند الحاجة المستحقة بقدر الطاقة، فمن خرج عن هذا الحد فقد تعدّى وظلم ولا حظ له من الكرم، وهو: إما بخيل أو مبذر فى أرزاق بيت المال. وفى كل منهما خراب المملكة على كل حال. فيجب على من كانا جبلته أن يستنيب من عطايا مملكته ثقاة– خاصة أهله– فمال الله قسمان: قسم زكاة مصارفه الأصناف الثمانية التى فى القرآن ويجب صرفها محل الوجوب ناجزًا إن وجد به مستحق، وإلا نفلت لأقرب مكان فيه وإن كان فى محل وجوبها بعضها، ونقل للأحوج بعضها بحسب الاجتهاد، وأجرة نقلها من الفيء لا منها. ولا يجب تعميم الأصناف كلها، بل إن أخرجت لبعضها أجزأت، إلا أن تعطى للعامل فقط فلا تجزىء، ويقدم الأهمّ فالأهمّ، والأحوج فالأحوج، ويفضّل بعضهم على بعض بقدر الحاجة. ومصرف زكاة الفطر صنفان الأولان فقط أي الفقراء والمساكين، ولا يعطى حارسها منها.

والقسم الثانى: الفيء كخمس الركاز والمعادن والغنيمة وما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الصلح، وما يؤخذ من تجارتها وخراج الأرضين وتركة لا وراث لها، وما أفاء الله من أموال الحرب بلا حرب، فصرف ذلك حكمه إلى الإمام يصرفه فى المصالح بالتقوى، لا بالهوى، وأحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفيء حماة الدين من قضاة المسلمين

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

والعلماء الأتقياء المرشدين، وأهل كل بلد أحق بفيئه من غيرهم، إلا أن تنزل بغيرهم حاجة فينقل إليهم شيء منه بعد إعطاء أهلها ما لا غنى من سده من حصن وسلاح وغيره، ثم بأرزاق العلماء والمقاتلين، ثم بالفقراء الأحوج فالأحوج، حتى يعمهم بأجمعهم من ذكر أو أنثى وصغير وكبير، فإن اتسع المال أبقى منه فى بيت المال شيء لما يحدث من النوائب وبناء المساجد وفك الأسارى وقضاء الديون ومؤنة تزويج العزاب، وإعانة الحجاج، وغير ذلك من وجوه الاحتياج فهذه سنّة صرف أموال الله للمسلمين. ولكن الظالمين اليوم فى ضلال مبين، قطعوا العدل والإحسان، ووصلوا الظلم والبهتان، فقلّت أرزاقهم، وساءت أخلافهم، وجاءهم الموج من كل مكان.(15)

ب- تقديم المواعظ والنصائح إلى السلاطين والأمراء

يتمثل ذلك في رسالة المغيلي إلى السلطان كنو(محمد رمفا) فيما يجوز للحكام فى ردع الناس عن الحرام، ونصها:

من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب، سلطان كنو وفقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما أولاه من أمر دينه ودنياه بجاه سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام فى ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، إنه لا بدّ من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده، مع إمكان ردعه عنه، أو لعنه، أو حبسه، أو ضربه، أو صلبه، أو قتله، أو نفيه، أو نهب ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية.

لكل داء دواء، ولكل مقام مقال وفعال، بحسب ما يظهر من الأحوال، فصن مقامات الخلافة النهوي عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائل الأحوال.

ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته، لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله، وأمنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

وغير ذلك من المحرمات، وأمنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين فى الأسواق والمنازل، وغيرها من المحلات، فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر فى شهر رمضان، أو زنا، أو غير ذلك من المكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى وأصلهم كان كذلك. وقد قال العلماء: الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب. فأنهم عن ذلك، وأشهر إنكاره وتوعد بالعقوبة لمن فعله، ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده أو رجله أو صلبه أو قتله، أو غير ذلك من الروادع الشرعية، فافعله لأنه ظالم، والظالم أحق أن يحمل عليه.

ولكن لا تفعل بالمفسد ما هو أشد فى ردعه، إلا إذا رأيت أنه لا يرجع لغيره، مثل ذلك: من لم ينته من الناس من عمل الخمر إلا بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم، أو إجلائهم، أو بيع الكفار منهم، أو غير ذلك فافعله ولا تبال. ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينته إلا ببيعه عليه أو بأخذه منه فافعل ولا تبال، وكذلك من يغش بمسحات ناقصات وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها فخذها منه واجعلها فى مصالح المسلمين. وأما من لم يغش بها ولا أبى أن ينتهى فمره بإصلاحها إن أراد المعاملة.

وكذلك من يلتقي ما يأتيي للسوق من طعام وغيره فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله، وبيعه على يده، وإن لم ينتهوا إلاّ بنفيهم أو نهب ذلك منهم فافعل، لأن مقصد الشارع فى الروادع درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان فى كل زمان ومكان. وليس الخبر كالعيان، ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"، فلا بدّ من إزالة الفساد على كل حال. وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدرء المفسدة الكبرى أولى. وهذا الذي بينا لك يكفيك إن شاء الله فى تلك المناكر وغيرها..

وإن الناس فى حكم الله ورسوله سواء فلا تخرج من ذلك علمًا ولا عابدًا، ولا شريفًا ولا أميرًا، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى، لا بالهوى.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

ومن عارضك فى شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وإن لم يكن إلا بقطع يده أو رجله أو أنفه أو صلبه فافعله ولا تبال، ولكن بعد ثبوت وتثبت فى ذلك كله، ومقابلة كل واحد بما يليق به، بحسب حاله من الخير والشر والتواضع والطفيان، فتصرف فى ذلك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان، وليس الخبر كالعيان، والله المستعان، وعليه التكلان. وفى هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية. وكلما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك وإذا نسيت شيئًا منه فلا تنس أن من غير حكم الله فقد كفر، ومن تغير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضيًا، لأنه يحكم بالظلم وهو يقول: هذا هو الشرع، ومن فعل ذلك فهو كافر لأنه صيّر الباطل حقًا، والحق باطلاً، فإن كان لا بدّ أن نجعل بعض الظالمين حاكمًا فلا تجعله باسم القاضى، فإن القضاء من صفات رسول الله لا يوصف به إلا عالم تقي لا يأخذ الرشا، ولا يحكم بالهوى.

الله، الله، الله. وهذه الوصية هي أوكد جميع الوصايا إما يكفيك أن تظلموا باسم السلطنة فتكونوا مذبذبين ترجون رحمة الله ثم تظلمون باسم الشرع، حتى تكونوا كفارًا، والكافر لا نصيب له من رحمة الله، فطهّر مقام الشريعة من خبث لأنه مقام رسول الله، لعل الله أن يغفر لك ذنوبك جميعًا، والسلام على من اتبع الهدى.(16)

وكتب المغيلي هذه الرسالة عام 897هـ. ولايزال الأمراء يستفيدون منها حتى اليوم. فأسلوب الرسالة أسلوب علم يتصغ بالبساطة والوضوح والسلس وتستمد موادها من معين الإسلام، الكتاب والسنة وكلام العلماء.

الخاتمة

خلال السطور السابقة سلطنا الضوء على آثار الشيخ عبد الكريم المغيلي في الأدب العربي بديار نيجيريا وبلور ذلك بعض الأدوار الفعالة التى أداها المغرب العربي في نشر الثقافة الإسلامية وحضارتها في غرب إفريقيا عامة، و الديار النيجيرية خاصة، وفي تطوير اللغة العربية وآدابها في المنطقة.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

توصلنا آخر البحث إلى أن المغيلي ترك في نيجيريا آثارا ملموسة في مختلف المجلات، الدينية منها والسيايسة والعلمية والأدبية. ففي ناحية الدين والسياسة كان مستشارا للسلاطين والأمراء، ألّف لهم دستورا ووصية يستخدمونهما في تدبير شؤون دولتهم وتنظيم أمور رعيتهم، ومن ناحية العلمية درّس عددا لا يستهان به من أبناء المنطقة، نظم لهم أرجوزة في علم المنطق وشجعهم على تعلمه، وله مناظرة نقائضية شعرية مع الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي حيث كان في موقف المؤيد والسيوطي في موقف المعارض، ومن ناحية الأدب له قصائد رائعة تأثر بها أدباء نيجيريا في أفكارهم وأغراض شعرهم وأسلوبهم. ونرى من الجدير للدارسين تفصيل البحوث والدراسات حول هذه الشخصية وأعمالها وآثارها حتى ينكشف اللثام عن قيمتها وأهميتها فيستفيد منها الأجيال القادمة كما استفاد منها الجيل السابق.

الهوامش:

1) آدم عبد الله الإلورى: **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى** ط 3، بدون ذكر المطبعة 1978م. ص 88-89.

2) آدم عبد الله الإلورى: **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرن الوسطى في نيجيريا**، مكتبة وهبة، القاهرة. 2012م. ص 64-70.

3) قريب الله بن الشيخ محمد الناصر الكبرى: **الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل دولة صكتو العاصمة من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني الهجري**، (بدون مكان النشر)، 1993م. ص 93- 95.

4) لطيف أونيريتي إبراهيم: "الشعر الإسلامي العربي في بلاد يوربا،نيجيريا من 1969م إلى 2009م"، بحث مقدم إلى جامعة إلورن لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية عام 2011م. ص38

5) المرجع نفسه ص37

6) قريب الله بن الشيخ محمد الناصر الكبرى المرجع السابق ص95

7) آدم عبد الله الإلورى: المرجع السابق ص 89- 88

8) المرجع نفسه ص 90

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305

9) محمد عبد الوهاب فايد: **المنطق الواضح**، الطبعة الثانية، مكتبة برهام أيوب للطبع والنشر، كنو، نيجيريا.(غير مؤرخ) ص5

10) المرجع نفسه ص5

11)المرجع نفسه والصفحة نفسها

12) المرجع نفسه والصفحة نفسها

13)المرجع نفسه والصفحة نفسها

14)المرجع نفسه ص6

15) آدم عبد الله الإلورى: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى: المرجع السابق ص75-82

16)المرجع نفسه ص85.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1305